Al-Yemenia University Journal
مجلة الجامعة اليمنية

# تأثير الفراغ العمراني على الانتماء المكاني
## (دراسة حالة الفراغات العمرانية حارة الأبهر ومدينة الأصبحي السكنية بمدينة صنعاء)

**م. محمد قاسم عون المذحجي**
*ماجستير هندسة معمارية*
*Mohawn2020@gmail.com*

**د. وائل عبدالجليل البناء**
*أستاذ العمارة المساعد – الجامعة اليمنية*
*wael_albanaa@yahoo,com*

**ملخص**. يتقصى هذا البحث موضوع تأثير الانتماء المكاني على السلوك الاجتماعي، كونه الناتج الملموس في البيئة العمرانية، ويتعرض لتطبع السكان وتأثرهم بالبيئة العمرانية في نواحي حياتهم المختلفة، باعتبار أن البيئة العمرانية هي المسبب الرئيسي لمفهوم الانتماء لدى مستخدمي الفرغات العمرانية وروادها، وذلك من خلال تلبية بيئة هذه الفراغات لمتطلباتهم واحتياجاتهم المختلفة ولكن المشكلة تكمن في أن عمليات التصميم والتخطيط العمراني وإعادة التأهيل للفراغات العمرانية في مدينة صنعاء قد أهملت وأغفلت الممكنات والوسائل التي تعزز شعور الانتماء للفراغ (البيئة المبنية)؛ مما سبب ظهور تأثيرات سلوكية سلبية وغير حضارية والتي تنعكس بدورها على حدوث تشوه في البيئة العمرانية، وتهدف الدراسة إلى التوصل لبناء نموذج نظري تتحدد من خلاله الأسس والآليات الرئيسية للقرارات التصميمية والتخطيطية التي تحقق الانتماء المكاني لمستخدمي الفراغات العمرانية والساحات العامة باعتبارها موجهاً أساسياً للسلوك الاجتماعي، وقد اعتمد البحث المنهج الوصفي الاستقرائي وذلك من خلال استعراض الدراسات النظرية المتعلقة بالفراغ العمراني وعلاقته بالسلوك الاجتماعي، وكذا المنهج التحليلي المقارن لعمل تحليل ومقارنه بين بيئة عمرانية تقليدية قديمة متمثلة بحارة الأبهر بصنعاء القديمة، وبيئة عمرانية مخططة متمثلة بمدينة الاصبحي السكنية لتتوضح مدى فوارق الإحساس بالانتماء لدى المستخدمين للفراغين.

ومن خلال تحليل البيئة العمرانية لمنطقتي الدراسة، بسماتها الخاصة من حيث التشكيل والتكوين للفراغات العمرانية والعناصر والمفردات المعمارية، والخصائص الاجتماعية الخاصة بالسكان، ودراسة نطاق العلاقات التجاورية والاجتماعية وتطورها، ومدى انتمائها لهذه البيئات العمرانية، ومدى محاكاتهم للقيم التي تعكسها تلك البيئات، فإن الدراسة استخلصت واستنتجت أن الانتماء المكاني هو موجه للسلوكيات الإنسانية، ووجود أي قصور في عمليات التصميم والتخطيط العمراني وإعادة التأهيل للفراغات العمرانية تؤثر على تحقيق شعور الانتماء المكاني؛ مما ينعكس بدوره سلبا على سلوكيات مستخدمي الفراغ العمراني.

**الكلمات المفتاحية**: الفراغ العمراني – الانتماء المكاني – جودة الفراغ – السلوك الاجتماعي – البيئة الحضرية.

## 1.مقدمة

منذ بدء الاستيطان البشري للمعمورة وتكوين التجمعات الحضرية اعتبر الفراغ العمراني العنصر الأساسي لبدء تشكيل تلك التجمعات بدءا بالأجوار عند اليونانيين مع دورها كسوق وساحة خطاب ووصولاً للساحات العامة في مدن القرن الواحد والعشرين والتي أعطيت كل منها أدوار ووظائف مختلفة، فقد لوحظ أن للفراغات العمرانية دورا رئيسياً ومهما في تحديد وتوجيه انتماء المستخدمين؛ لما لها من تأثير بالغ في تشكيل شخصية الفرد وتعامله مع المكونات والعناصر المختلفة في المدينة؛ ولهذا فقد كان من الضروري أن يسلط الضوء على كيفية نشوء وتكوين هذه الفراغات العمرانية سواء كان تخطيطها عفوي أو تخطيط مسبق؛ لأن الفراغات العمرانية القائمة حاليا في كل مدن العالم ليست سوى نتاج لعمليات التخطيط والتصميم التي اجتهدت لتواكب تطورات العصرنة ومتطلبات التكنولوجيا المستقبلية متناسية بذلك التأثير السلبي الذي يعود على المستخدم لتلك الفراغات والمتمثل في اضمحلال الدور الإنساني وتأثيره في مدى قياس الانتماء لها، ولهذا فإن انفصال الفكر المعماري والعمراني عن الأبعاد الاجتماعية والبيئية والثقافة الإقليمية قد بلغ ذروته، واتجه معماريو هذه الفترة إلى التركيز على الأبعاد التصميمية والتشكيلية المجردة والبعيدة عن احتياجات الإنسان المختلفة (راوية حموده، ١٩٨٠).

وقد كانت سياسات التعمير الجديدة نادرا ما تهتم بالتركيبة البنائية للفراغ في التجمعات السكنية، ولم تلتفت إلى العلاقات الاجتماعية التي تعطي معنى التواجد للجماعة، من خلال مبادئها التي من أهمها الفصل الوظيفي للأنشطة المختلفة، دون الاهتمام بالفهم الحقيقي للسلوكيات الإنسانية، حتى إن مواطن المدينة الحديثة أصبح مضطرا لإيجاد الحياة الاجتماعية الخاصة به بنفسه، وذلك بإيجاد حيزه الخاص الذي يمكنه التحكم فيه دون الحاجة للاشتراك في الوجود الجماعي المتمركز حول الشارع؛ مما أدى إلى فساد العلاقة بين الفرد والجماعة، وقد أدى تجاهل أهمية العلاقات الاجتماعية إلى نتائج سلبية كثيرة قد تصل إلى انتشار الأمراض الاجتماعية والانهيار العمراني للمباني (Trancik 1986).

ويرى كوللر" أن المدخل الملائم الذي يسمح بدراسة العلاقة التبادلية بين الإنسان وبيئته يجب أن يتم من خلال إطار عمل بيئي له مدخل متسع المعالم يشمل الأبعاد الاجتماعية والثقافية وغيرها، لتتوافر درجة مناسبة من تفهم ذلك الأثر للعمارة والعمران. أما "ترانسيك" فقد نبه إلى أنه مع افتقاد الإحساس الجمالي بمعنى الفراغ العام فقد أيضا الإحساس بوجود قواعد لربط الأجزاء عند تقييم الفراغات الخارجية، بينما هي واضحة في المدن التقليدية من خلال اللغة المتضمنة في الفراغ، وقد بني نظريته عن المكان على أن "الفراغ لا يكون مكانا" إلا عندما يحمل المعنى المنبثق من المحتوى الثقافي والإقليمي، وأن جوهر نظرية المكان في التصميم العمراني تكمن في فهم السمات الثقافية والإنسانية في الفراغ العمراني (عماد الشربيني،1999).

لقد أدت أفكار الحداثة إلى غياب دور الشارع والفراغ الخارجي؛ مما أدى بدوره إلى غياب الاختلاط والتآلف الاجتماعي وموت الحياة الاجتماعية تدريجيا، الأمر الذي نتج عنه عدم اتزان اجتماعي في الفراغات العمرانية؛ ولذلك كان من أهم التوجهات الخاصة بمرحلة ما بعد الحداثة هو الاهتمام بالمستعمل والجماعة والعلاقات الاجتماعية التي هي أساس التفاعل بين الأفراد ببعضهم، ثم مع البيئة المحيطة.

ويمكن القول إن من أهم وظائف الفراغات العمرانية المجمعة هو تشجيع العلاقات الاجتماعية والاتصال بين الأفراد من خلال الفراغ، وهو ما لم تستطيع تحقيقه البلوكات الخرسانية نتاج مرحلة الحداثة، كما تعتبر المدينة بأسرها نتاج الحياة الاجتماعية لمجموع السكان وتنعكس عليها سواء بالسلب أو الإيجاب (Sablet, 1991). وقد أصبحت تلبية حاجات المستعمل والجماعة ضرورة ملحة، فبقليل من الاهتمام يمكننا تفهم ما يريده المستعمل وما يمكننا أن نوفره له من خلال تعاملنا مع الفراغ.

وبناء عليه تناولت الورقة العلمية دراسة مفهوم الفراغ العمراني وعلاقته بالانتماء المكاني وتأثيره على الإنسان من خلال استعراض بعض الفراغات العمرانية القائمة في مدينة صنعاء وتحليل وترجمة المؤثرات على الواقع، مثل التنظيم البصري والفضائي لبيئة الفراغ العمراني من خلال العمليات التصميمة لكل المكونات الفراغية في تنظيم عناصرها وفضاءاتها، وإظهار معززات الانتماء واحضارها للبيئة المادية من خلال التشكيل البصري والفضائي للمتغيرات الفيزيائية، لكي تكون بيئة الفراغ العمراني المصممة ذات معنى وأكثر استدامة وتجاوبا مع المتطلبات الإنسانية والاجتماعية والثقافية، وبالتالي تم بناء نموذج نظري متكامل لتعزيز الانتماء المكاني لدى مستخدمي الفراغات العمرانية.

### 1-1 مشكلة البحث:

إن الفراغات العمرانية كانت تنتج بشكل عفوي، وبعد نهاية القرن الماضي بدأت تتأثر بعمليات التخطيط والتصميم التي بدورها عملت على الارتقاء بالبيئات الحضرية المتدهورة عمرانيا لتتلاءم وتتكيف مع المتطلبات والاحتياجات المختلفة والمتغيرة في عصر الثورة التكنولوجيا والرقمية، ولأن عمليات التصميم العمراني هدفها الأول هو توفير بيئة ملائمة للمستخدم من جميع النواحي (الوظيفية، البيئية، الجمالية، النفسية)، وحيث إن العلاقة بين الإنسان والبيئة التي يعيش فيها لا تقف عند الحدود الانتفاعية ولكن تمتد لتمس النواحي النفسية عن طريق العواطف المختلفة أو من خلال التصرفات اللاإرادية المكتسبة، فإنه كان ولا بد من تحقيق التنمية المتكاملة لمستخدمي الفراغ -في حين أن هذا لا يتحقق إلا في حالة شعور الإنسان بالانتماء للفراغ الذي يتواجد فيه؛ لينجم عنه مظاهر وسلوكيات تتناسب إيجابياً مع التطوير والحفاظ على هذا الفراغ، **ولان أغلبية عناصر الفراغات الحضرية القائمة ركزت على الجانب المادي وتغافلت الجانب المعنوي (السلوك الاجتماعي)؛ مما أنتجت سلوكيات اجتماعية سلبية وغير سوية تؤثر سلباً على كافة نواحي الحياة، كما أن تجاهل الاحتياجات الاجتماعية والنفسية والسلوكية لمستخدمي الفراغات عند اتخاذ القرارات التخطيطية والتصميمية للفراغات العمرانية يعوق تحقيق الهدف الأساسي من التصميم لتلك الفراغات**.

ونظراً لتفاقم هذه الظاهرة وتفشي تداعياتها في المجتمع والعمران بشكل سلبي، فقد كان ولا بد من دراسة هذه الظاهرة بجميع حيثياتها، والتعرض لدراسة النظريات التخطيطية والتصميمية والطرق والوسائل المناسبة الكفيلة لتعزيز الانتماء المكاني عند مستخدمي الفراغات الحضرية والساحات العامة لتصبح موجهاً لسلوكهم الاجتماعي إيجاباً ولإنتاج مجتمع متحضر في بيئة صحية حضرياً.

### 2-1 هدف البحث:

إن هدف البحث الرئيس هو التوصل إلى بناء نموذج نظري تتحدد من خلاله الأسس والآليات الرئيسية للقرارات التصميمية والتخطيطية وفقا للتوجهات الجديدة لنظام الفضاءات المفتوحة التي تحقق الانتماء المكاني لمستخدمي الفراغات العمرانية والساحات العامة باعتبارها موجهًا أساسيًا للسلوك الاجتماعي.

### 3-1 فرضية البحث:

إن عدم دراسة الاحتياجات والمتطلبات لمستخدمي الفراغات العمرانية والساحات العامة، وعدم تحليل سلوكياتهم بطريقة تتوافق مع متطلباتهم يؤدي إلى ضياع الإحساس بالانتماء المكاني وإلى إحداث تغيرات في السلوكيات كنتاج لمحددات وضعتها البيئة المبنية.

ولاختبار فرضية البحث تتناول هذه الدراسة البحث والتحليل في الآتي:

- نتائج المقارنة بين منطقتي دراسة إحداهما تقليدية قديمة وهي حارة الابهر، والأخرى مخططه وحديثة وهي مدينة الأصبحي السكنية.
- دراسة تأثير البيئة المادية (المكان) والسلوك الاجتماعي.

### 4-1 الحدود المكانية والزمانية للبحث:

دراسة مقارنة لمنطقتي: دراسة حارة الأبهر، ومدينة الأصبحي السكنية في مدينة صنعاء للفترة الزمنية المتمثلة في مدة إعداد البحث.

### 5-1 منهجية البحث:

### 1-5-1 المنهج الوصفي:

من خلال الاستعانة بالمراجع والمادة المكتوبة أو المدونة والموثقة في المكتبات المحلية والإقليمية، وتقارير إحصائية عن منطقة الدراسة، بالإضافة إلى الملاحظة والتدوين والتوثيق والمقابلات.

### 2-5-1 المنهج التحليلي والمقارن:

من خلال تحليل المعلومات والظروف المؤثرة على منطقتي الدراسة ومقارنتها.

### 6-1 أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في دراسة الطرق والعوامل التي تكفل تعزيز مفهوم الانتماء للمكان والحاجة اليه كمتطلب أول باعتباره مؤثراً مهمًا في صناعة التفاعلات الإنسانية الإيجابية مع البيئة الحضرية وذلك من جميع النواحي: (الاقتصادية، الاجتماعية، السياسية)، والتي بدورها تعتبر من أهم المؤثرات على تشكيل سلوكيات المجتمع، وكنتاج لهذه العلاقة التفاعلية فإن مدى الانتماء للمكان يؤثر سلباً أو إيجاباً – كموجه عام – لسلوك الفرد والجماعة وانعكاس تأثيره على مدى الرقي في العلاقات المجتمعية الأخرى.

## 2. الإطار النظري للبحث:

يسهم الإطار النظري في بناء قاعدة معلوماتية نظرية، من خلالها يتم التعرف على مفاهيم الفراغات العمرانية والانتماء المكاني والسلوك الاجتماعي، ومن ثم التعرف على التأثيرات المتبادلة بين الإنسان والمكان في كل من البيئات القديمة والتقليدية والحديثة، ومرورا بالتعريف على الاتجاهات العامة لفهم وتفسير العلاقة بين الفراغات العمرانية والخصائص الاجتماعية، وصولا إلى تعريف منطقة الدراسة.

### 1-2 العلاقة المتبادلة بين الإنسان والمكان:

باعتبار المكان هو الحيز الأقرب فيزيائيا للإنسان، والذي يقوم فيه بأنشطته التفصيلية الخاصة به انتقالا إلى توسيع نشاطاته بصورة تشاركية وجماعية مع الغير داخل الفراغ العمراني، فقد كان ولا بد من التطرق إلى دراسة مفاهيم هذه الفراغات والتأثيرات المتبادلة الناتجة عن علاقة الإنسان بها.

**2-1-1 الفراغ العمراني:**

يعتبر الفراغ العمراني الجزء الفعال في المدينة وحولها والذي يتجه إليه الإنسان كالمساحات الواقعة بين الكتل القائمة، ويشمل كافة الشوارع والطرق والميادين والساحات؛ لتلبية احتياجاته وممارسة أنشطته المختلفة متأثرا ومؤثرا فيه، حيث تتم فيه التفاعلات وقياس مدى الارتباط والانتماء لها، وقد تعددت التعريفات للمتخصصين والباحثين المعماريين والمخططين، ففي كتابه (Exterior Design In Architecture) عرف (Ashihara) الفراغ العمراني بأنه المكان الذي يحوي الأشياء والأشخاص والأنشطة عن طريق أبعاده الثلاثة، ويمتاز بالتطور مع مرور الوقت بنوعيه: تطور حضري؛ أو تطور انساني من السلوك والأنشطة والحركة، وكل ما يتعلق بالإنسان من تصرفات، حيث أشار (Ashihara) إلى أنه يمكن ادراك حيز فراغي معين من خلال العلاقات التبادلية بين الانسان والأشياء التي يلاحظها في هذا الفراغ عن طريق حواسه (Ashihara, 1983)، ويعرف (Krier) الفراغ العمراني بقوله : " إذا أردنا توضيح مفهوم الفراغ العمراني دون تأثير الاعتبارات الجمالية فإنه من الممكن أن نشير إلى جميع الفراغات المحصورة بين المباني في المدن وغيرها بفراغات عمرانية ، والفراغ العمراني هو فراغ محاط هندسياً بمجموعة من الواجهات ، ومن السهل إدراك خصائصه الهندسية والمعايير الجمالية فيه "ويمكن اعتبار الفراغ العمراني فراغًا معماريًا من دون سقف ، ويتكون من ثلاثة عناصر رئيسية، هي : حوائط الفراغ المتمثلة في المباني المحيطة بالعناصر المحددة، وأرضية الفراغ ، وسقف الفراغ المتمثل في السماء، بالإضافة إلى العناصر الثابتة ، وشبه الثابتة الواقعة داخل الفراغ نفسه (الفرش العمراني).

ويرتبط تصميم الفراغات العمرانية بمجموعة من المتغيرات التي تؤثر في الفراغ، وتتأثر به، وذلك مثل: المستخدمين والأنشطة التي يقومون بها، والعادات والتقاليد، وإحساس الفرد بالأمان والانتماء، ومن ثم التشكيل العمراني للفراغ الذي يؤثر بشكل كبير في تفاعل الإنسان مع الفراغ ومع مستخدميه. (Krier, 1979).

**وبناء على ما سبق ذكره فإنه يمكن القول إنه يتم إنتاج الفراغ العمراني عند تشكيل البيئة المبنية بكل مكوناتها من كتل ومحددات راسية وأفقية لتشكل الاحتواء الفراغي للمساحة العمرانية والتي بدورها تعطي إمكانية ممارسة الفرد فيها لأنشطة محددة في فترة زمنية محددة بشكل جماعي أو فردي، وهذا يعطي المستخدم ميزة الإدراك للفراغ العمراني، وبالتالي معرفة استيعاب مكوناته الحضرية من واجهات وأرضيات، والتعرف على خصائصه الجمالية والوظيفية، وكل ذلك يحدث وفق مفهوم الزمكان العمراني والذي من خلاله يعطي صورة لانطباع متكامل يعكس الانتماء المكاني ومحدداته باعتبار هذه الفراغات جزءً أساسيًا من تشكيل المدينة المرتبطة بحياة الإنسان اليومية، وممارسته للوظائف الحياتية.**

**2-1-2 الانتماء المكاني:**

تعددت الدراسات والبحوث التي تناولت مفهوم الانتماء المكاني، مما ولد عدة مصطلحات للتعبير عن هذه الظاهرة ففي كتابه Psychology وضع (Mackeackie) ظاهرة الانتماء المكاني كتدرج ثالث بالنسبة لتسلسل الحاجات الإنسانية من الأقوى إلى الأضعف، بعد الحاجة النفسية إلى الأمان Safety والحماية Protection، مما يدل على إن الإنسان لا يشعر بالانتماء إلى المكان إلا بعد شعوره بالحماية والأمان في المكان ذاته (Mackeachie, 1970)، ووفقا لآراء علماء النفس فقد عرف البعض الانتماء المكاني بإنه حاجة مكتسبة ذات دافع اجتماعي تنشأ أساساً من تفاعل الإنسان مع بيئة معينة ذات تقاليد ومعايير اجتماعية محددة تسمح بإحداث التعديل في نوع وشكل الدوافع. وفي كتابه Road Form and

Townspace ينظر (Moclusky) إلى الانتماء المكاني كحاجة ذات مكونات فسيولوجية تنحرف وفقا لما هو سائد اجتماعيا وثقافياً وحضارياً (Mackeachie, 1970).

ومن الجدير بالذكر أشارت الأدبيات السابقة إلى ثلاثة مصطلحات تشير كل منها الى سمات خاصة مميزة للانتماء المكاني، اعتمدت الأولى منها على مفهوم السلوكية Behaviorism، في حين اتخذت الثانية من مفهوم الظاهراتية Phenomenology أساسا لها، أما الثالثة فقد استندت إلى مفهوم البنيوية Structuralism. وسيتم التركيز على الأخيرة لارتباطها المباشر بمحور البحث حيث نجد ان البنيوية جاءت استنادا إلى فكرة مفادها أن مفهوم الانتماء يعتمد على أهمية النسق والنظام، وأهمية الكل ضمن هذا النظام، وهذا ما يأتي كنتيجة لعلاقة الإنسان بالمكان بوصفه جزءا من بنية ذلك المكان، ولا كيان له إلا ضمن هذه البنية المترابطة. وكون الإحساس بالانتماء للبيئة الحضرية لا يمكن أن يكون بعزل الأمكنة المكونة لها عن مقترناتها وارتباطها المتمثلة بفكر وتجارب الأسلاف وعاداتهم وتقاليدهم وكل ما هو مثير للذكريات، والناتج عن الذاكرة الجمعية المتراكمة بفعل تأثير المكان على شاغله، فإن هذا ما يعزى إلى صلة المكان بمحيطه المجاور والمتمثلة بعلاقة (الكل والجزء).

**وعلى ضوء ما سبق فانه يمكن التأكيد على أن الإنسان صنع الفراغ ليصبح مؤثراً على أنشطة الإنسان وموجها لها وفي الوقت نفسه يكون متأثراً بالتطورات الناتجة عن الاحتياجات المستقبلية للإنسان على مرور الحقب الزمنية؛ لذا يمكن القول إن الفراغات العمرانية لكي تعطي انتماء لها يجب أن تحقق عنصر المرونة في التغييرات التي بدورها تلبي احتياجات المستخدم الاجتماعية والثقافية والوظيفية والإنسانية؛ لتعزز لدية الشعور بالانتماء المكاني لهذه الفراغات.**

**2-1-3 جودة الفضاء وعلاقته بالانتماء المكاني:**

إن مفهوم جودة الفضاء يشمل المعايير الكمية والنوعية على مستوى الفرد وعلى مستوى المجتمع، فالمعايير النوعية على مستوى الفرد هي: (الرضا عن الحياة، والإحساس بالسعادة ...) وعلى مستوى المجتمع هي: (القدرة على المشاركة والتأثير، ومقدار الترابط بينه وبين المجتمع...)، والمعايير الكمية على مستوى الفرد هي: (قياس الحالة التعليمية، والمهارات...)، وعلى مستوى المجتمع هي: (قياس الحالة البيئية، الاقتصادية) (يوسف، 2018)، وهذا بدوره يؤثر بشكل كبير في نسبة الانتماء المكاني للفرد للفراغات العمرانية داخل المدينة بواسطة مجموعة كبيرة من العمليات التفاعلية، (كالفهم والادراك والترجمة والتصنيف)، بالإضافة إلى وجود مؤثرات بيئية متباينة من حيث النوعية بتفاعل الإنسان معها فهي تؤدي دورا في تشكيل انتماءاته المتباينة، وهي: (البيئة الطبيعية - البيئة الاجتماعية - بيئة الرموز)، ويعزى القدر الأكبر من الانتماء لبيئة الرموز باعتبارها بيئة قائمة بذاتها، حيث تكمن اللغة والنقوش والكتابات والتكوينات الايحائية، فالعمارة مليئة بالرموز، لأن هدفها هو التعبير بواسطة الأشكال عن المضمون الأمثل لمبنى ما، وبتحويل غير المادي إلى مادي عندما يتناول المعماري مواد البناء كعنصر تشكيلي؛ لتصبح رمزا حاملا لمعنى توحي به للمشاهد المتأمل، وبقدر ما يستطيع نقل الفكرة إلى المشاهد بقدر ما تصل عمارته إلى الهدف المطلوب منها. (الفت، 1990)، ومن هنا تكمن أهمية الرموز والمعاني التي تحملها البيئة المعمارية والعمرانية في ترسيخ الانتماء لهذه البيئة.

**ويمكن الاستنتاج من خلال السرد أعلاه لمجموع الأبحاث المختلفة أن مفهوم الانتماء من الناحية البيئية يعود لمجموعة الخبرات المكتسبة لدى الإنسان، وتتمثل بالعلاقة التبادلية والتفاعلية بين الإنسان والبيئة المحيطة به.**

**2-4 السلوك الاجتماعي:**

يشكل سلوك الأفراد أو الجماعات مجموعة من الأنشطة التي تمارس في البيئة الفراغية، كما أن الإنسان سواء كان منفرداً أو في جماعات يتعامل مع البيئة المحيطة من خلال السلوك الذي يعبر عن الشخصية الإنسانية، كما أن البيئة تؤثر على سلوك الإنسان، لذا يمكن القول إن السلوك يتطور مع الزمن تماشيا مع ما يحتاجه المستخدم من المكان، ويشير هذا التوجه إلى أن سلوك الأشخاص سمة دالة لدوافعهم من خلال الفرص المتاحة في البيئة الحضرية (Lang, 1987)، وتؤكد على أن الدور الأساسي في تقييم الأنماط السلوكية واكتسابها يكون من خلال التجربة.

**2-5 التأثيرات المتبادلة للعلاقة بين الإنسان والمكان في البيئات القديمة والتقليدية:**

في المجتمعات الأولى نجد أثر المكان أو البيئة الطبيعية كبيرة على الإنسان، وكأن المكان هو الذي يتحكم فيه وفي أعماله، فينشأ الإنسان "إبنا" من أبناء الطبيعة، وإذا كان "الكهف" هو أول فراغ طبيعي عاش فيه الإنسان قد اتخذ معاني رمزية كثيرة بعد ذلك مثل تشبيهه برحم امرأة ورحم الأرض الذي خرجت منه الحياة الأولى، فأثر ذلك على وجدان الإنسان وعلى إحساسه بالفراغ فإن "الكوخ" على النقيض منه هو فراغ صناعي يتحدد تبعا لإمكانيات المادة التي صنع منها (أفرع الشجر) فكان بذلك أول "وعاء صناعي" صمم بإرادة الإنسان ورغبته ليحوي أوجه النشاط المختلفة، وهنا نرى أن الكوخ كان تحولا مهما في العلاقة بين الإنسان وبيئته وكان يمثل البداية الحقيقية لظهور البيئة المشيدة. ورغم أن العهد البدائي الأول للمجتمع الزراعي يرتبط بتغيير دوري لمكان الإقامة، إلا أن هناك ارتباطا بين الإنسان ومسكنه أو أرضه، ولقد كانت الأشكال المعمارية في هذه الفترة تحمل الطابع الريفي (بطرس، 1992)، ففي هذا المجتمع الزراعي وفي عهد أقدم الأسر المصرية وجدت البدايات الأولى العمارة النباتية والطينية بأبسط أشكالها والتي تطورت فيما بعد إلى العمارة اللبنية. ويبدو المناخ كأحد أهم المحددات الأساسية (المقبولة لدى الكثيرين) التي تؤثر في النتاج البنائي، ويرى "فيكتور أولجاي" إمكانية رسم خريطة تربط بين الأقاليم المناخية المختلفة على مستوى العالم، وبين التشكيلات المختلفة المستخدمة لتغطية الفراغات الإنتفاعية في عمارة كل من هذه الأقاليم شكل (١)، كما يشير "ريدوفسكى" بعض المستقرات الإيطالية واليونانية على كونها نتاجا مباشرا لمحددات المواقع الجبلية التي بنيت عليها (بطرس، 1992).

شكل(1): تمايز التشكيل العمراني للمستقرات البشرية المصرية باختلاف مناخها.

وظهور فراغ "الأجوار" أو الساحة الإغريقية كان تعبيرا حقيقيا عن بداية ظهور العامل الاجتماعي في تشكيل النتاج البنائي؛ لأن هذا الفراغ كان ترجمة عمرانية لاحتياج الإغريق إلى مكان للتجمع يستوعب الأنشطة السياسية والتجارية والدينية الجديدة. وتختلف أماكن ممارسة الأنشطة الاجتماعية التي تزيد من ترابط الجماعة بحسب نوع النشاط وعدد ممارسيه، ابتداء من المنزل إلى المقهى إلى الشارع إلى الساحة، ففي الصين تتم المقابلات في الشوارع الرئيسية، بينما تتقابل النساء في شمال أفريقيا حول آبار المياه، ولدي جماعات "البانتو BANTU" الأفريقية فإن مكان المقابلة هو الفراغات بين حظائر الماشية أو عند أسوار القرية، وبينما تسهل إمكانية الحركة داخل المدينة، وسهولة التعرف على أماكن عملية الاختلاط

الاجتماعي لدى معظم الجماعات، فإن لدى اليابانيين نظما معقدة لتسمية الفراغات وترقيم المنازل، فالمنازل ترقم على مستوى المجموعات السكنية الصغيرة تبعا لتاريخ بنائها، مما يصعب من مهمة العثور عليها، ولم تقبل أية صيغة أخرى غير هذا الترقيم (بطرس، 1992) وبصفة عامة يمكن رصد نسقين أساسيين لطريقة التعامل مع الفراغات لدى الجماعات، أولهما النمط الذي يستخدم الفراغات الخارجية كمكان لممارسة الأنشطة اليومية وتصبح المنازل فيه مجرد أماكن أكثر خصوصية للإنسان، وثانيهما النمط الذي تكون فيه المنازل هي محور النشاط الإنساني، بينما تكون الفراغات الخارجية لنسيج المستقرة مجرد فراغات مفقودة تمثل محاور الاتصال الحركي فقط.

ويمثل هذان النسقان الحدود القصوى لأنماط التعامل مع الفراغ الخارجي، ويحصران بينهما العديد من الأنساق الوسيطة التي تتفاوت داخلها الأهمية النسبية للفراغ العام والمنزل كل على حساب الآخر (Rapoport, 1980)، فنجد في العمارة الإسلامية تأثير العوامل الاجتماعية والثقافية الموحدة الذي تبلور على شكل طراز وأعراف بنائية تمت صياغتها عبر الزمن، فقد فرضت العادات والتقاليد درجة معينة من الخصوصية تبلورت على شكل معالجات خاصة للمداخل والفتحات، وأصبح هذا عرفا بنائيا استمر عبر الأجيال وحقق نوعا من التواصل والتجانس العمراني، شكل (2)؛ ولذلك نجد بيئات عمرانية متشابهة على الرغم من وقوعها في أقاليم مناخية مختلفة بكامل مساحة العالم الإسلامي (أكبر، 1992)، شكل (3)

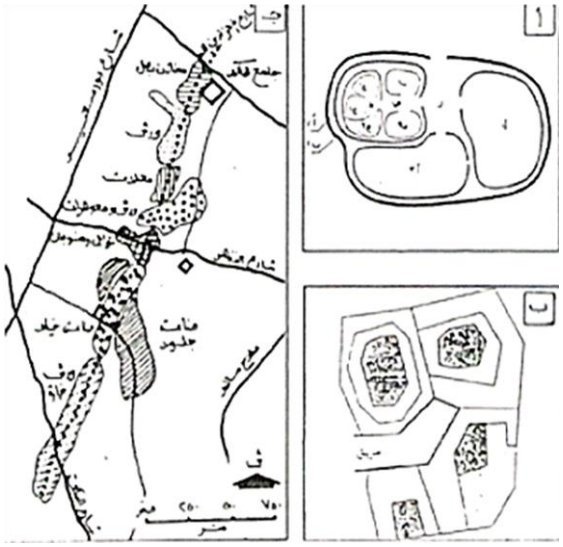

شكل(2): العمران و تعبيره عن الوحدات الاجتماعية بالمدينة العربية: أ) مجموعة الخطط التي تتكون منها المدينة ب) مراحل نمو الخطة العمرانية معبرة عن الوحدات الاجتماعية ج) تقسيم العمران حسب المهن فى القاهرة الفاطمية

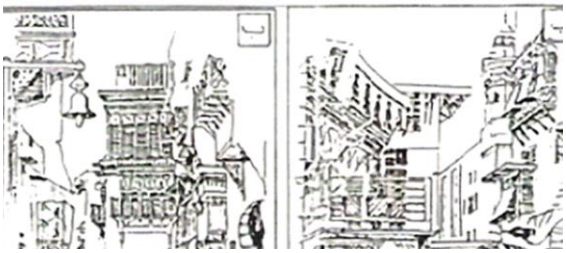

شكل (3): تشابه البيئة العمرانية ومفردات التشكيل العمراني النابع من وحدة الثقافة في المدن العربية (القلب القديم لمدينتي القاهرة وجدة).

**مما سبق يمكننا الاستنتاج أن الإنسان في البيئات القديمة والتقليدية قد استطاع أن يستفيد من الطبيعة ويتفاعل معها ولم يعد أسيرا لمحدداتها المادية وإنما أصبح في مقدوره أن يتحكم في معظم هذه المحددات، وتعاظمت هذه المقدرة مع تقدم العلم، ويمكننا التأكيد على ضرورة ارتباط معنى المكان بالاحتياجات النفسية والعاطفية، وكذلك بالثوابت الاجتماعية والثقافية للجماعة، فقد أدرك الإنسان منذ زمن بعيد أن بيئته قادرة على أن تنبت محصولا حضاريا وثقافيا خليقا بالاحترام، ولكن هذه الحقيقة غابت عن الأذهان في العصور الحديثة. وهنا تبرز أهمية دراسة المناهج والمدارس النظرية المختلفة التي تناولت أبعاد العلاقة التبادلية بين الإنسان وبيئته.**

## 2 – 6 الاتجاهات العامة لفهم وتفسير العلاقة بين الفراغات العمرانية والخصائص الاجتماعية:

### أولا: اتجاه الحتمية البيئية:

ركزت بعض الآراء على تأثير الفراغات العمرانية على السكان، فمنذ ما يزيد على ستة قرون ذهب "عبد الرحمن بن خلدون" إلي أن العمران البشري ينشأ عن تجمع الأفراد وتفاعلهم معا وينجم عن هذا التفاعل مجموعة من الظواهر، والأنساق والنظم كالنظام السياسي والاقتصادي والتربوي والديني، وقد أكد "بن خلدون" على أن المدن تطبع سكانها بطابع خاص، وتؤثر في نشاطهم وعلاقتهم الاجتماعية، كما يحدث تطورها السريع من حيث الاتساع المكاني وازدياد معدلات النمو السكاني ومظاهر العمران المختلفة، تطورا مشابها في العلاقات والنظم الاجتماعية المميزة لسكان المدن. وقد أكد عدد من الباحثين على أنه بالرغم من أن القوى الاجتماعية الاقتصادية وانعكاساتها النفسية، تعتبر أساسية في التأثير على أنماط المعيشة إلا أن التصميم العمراني يمكنه أن يسهل أو يعرقل أوضاع التكيف ''Adaptation"، فالفراغات العمرانية تؤدي دورا ملموسا في إيجاد الإحساس بالمعنى وبالهيكل والمجتمع المحلي أو الجماعة السكانية Community" بين سكانها، وهذا التأثير يتباين باختلاف نوعية الأفراد وتمثل الفراغات العمرانية وسطا أو محيطا يشجع أنماطا مركبة من السلوك الاجتماعي، كما أن المشاركة في بيئة سكنية واحدة، تعطي سكان المنطقة السكنية شخصية جمعية تؤثر على أنماط العلاقات الاجتماعية (محمود، 2000).

وقد ركز علماء نفس البيئة ''Environmental Psychologists" على دور البيئة في تشكيل السلوك الإنساني فاعتبروا "السياق العمراني Physical Setting" هو الموقع الجغرافي أماكن وفراغات متداخلة، تحدد وتنتظم وجود وحياة سكانه، فالحياة الحضرية أكثر من مجرد تنظيم من الأماكن العمرانية، وهي لا تضم فقط سكانا يقومون بمدى واسع من الأنشطة في هذه المجالات العمرانية، ولكنها تشمل أيضا هياكل اجتماعية تكاملية "Integrative ومعيارية ''Normative" تنظم أنشطة هؤلاء السكان، وهذه النظم الاجتماعية المعيارية تتكون من علاقات محددة بين الأفراد والجماعات والهيئات الاجتماعية الأكبر، وهي تعبر عن الأهداف والقيم الأساسية للمجتمع (المرجع السابق). وقد انعكس هذا على تعريف علماء نفس البيئة للحي السكني Community" فأكدوا على التعريف الاجتماعي بالإضافة إلى التعريف العمراني أو المكاني/ الجغرافي، وميزوا بين الحي السكني والمجتمع المحلي "The Community الذي يتكون من روابط جماعية مشتركة وتفاعل اجتماعي ويتميز بدرجة عالية من الألفة الشخصية والعمق الوجداني والتلاحم الاجتماعي والالتزام الأخلاقي والاستمرارية في الزمن، وقد أوضح "ماكميلان Mcmillan" والشافيس Chavis" أربعة عناصر رئيسية في الإحساس بالمجتمع المحلي Sense of the community" وهي: العضوية أو الانتماء، والتماثل مع المجموعة، والتأثير؛ أي قدرة الفرد على التأثير في النظم الأكبر التي تشمله، والمشاركة في القيم أي تحقيق المجموعة للقيم والاحتياجات الشخصية للفرد، وأخيرا الارتباط العاطفي المشارك وهو رباط روحي مشترك ينشأ غالبا عن الخلفية التاريخية الواحدة (المرجع السابق) والرأي السائد الآن هو أن للحي السكني أو الموقع السكني دوراً أساسيًا في تحديد قيمة المكانة وإمكانيات التفاعل الشخصي للأفراد، وأن الحراك السكني يؤدي دورا مهمًا في الحراك الاجتماعي الرأسي، وقد أثبتت بعض الدراسات الميدانية تأثير البيئة العمرانية على قيم وسلوك السكان (مكاوي، 1995).

**ثانيا: اتجاه الاحتمالية البيئية:**

وهذا الاتجاه يرى أن الإنسان هو الذي يصوغ أو يشكل الفراغات العمرانية، فقد أكد "جون أجنو John Agnew" و"جون ميرسر John Mercer" و "دافيد صوفر David Sopher " على أنه يمكن إرجاع

أنماط التشكيل العمراني إلى الممارسات والأفكار التي تنتج عن الخبرات والخلفيات المشتركة النابعة من الأوضاع الاجتماعية والثقافية للمجموعات الاجتماعية والتي تنعكس على أنماط الحياة الحضرية، أي أن العوالم العمرانية تتشكل بواسطة ثقافة المجموعات الاجتماعية بمعنى طرق المعيشة ونظم المعاني لهذه المجموعات (Agnew, 1984). كما أكد "كيفن لينش Kevin Lynch" على أن شكل المدينة هو التنظيم المكاني للمجتمع ولتدفقات الأفراد والأشياء والبيانات والخصائص العمرانية التي تشكل المكان بطرق مميزة لهذه الأفعال، وكذلك ذهب "رابابورت Amos Rapaport " وآخرون إلى أن البيئة المبنية ما هي إلا نتاج لعوامل مثل أفكار المجتمع وأشكال التنظيم الاقتصادي والاجتماعي وتوزيع الموارد والسلطات والأنشطة والقيم والمعتقدات السائدة في فترة ما بالإضافة إلى العوامل الطبيعية كالمناخ والطبوغرافيا وأن المعايير الاجتماعية الاقتصادية تفوق كثيرا في أهميتها عوامل المناخ والتكنولوجيا في التأثير على الشكل المبنى (محمود، 2000).

**ثالثا: اتجاه التفاعلية بين الإنسان والفراغات العمرانية:**

ذهبت بعض الآراء إلى أن العلاقة بين خصائص السكان وخصائص العمران علاقة تبادلية؛ أي أن هناك تأثيراً متبادلاً بين خصائص السكان وخصائص العمران، ومن هذه الآراء رأى "إيروين ألتمان Irwin Altman" الذي اقترح نموذجا أسماه "النموذج الإيكولوجي للنظم الاجتماعية A social systems ecological model of man"، ويدور هذا النموذج حول محور رئيسي هو أن السلوك الإنساني المتبادل بين الأفراد هو جزء من نظام بيئي "Ecosystem معقد، وأن البيئة العمرانية والسلوك الإنساني متشابكان بقوة، وأن هناك تأثيراً ثنائياً متبادلاً بين الإنسان والبيئة العمرانية، فمثلما تؤثر البيئة العمرانية على الإنسان يؤثر الإنسان على الفراغات العمرانية، ووفقا لهذا النموذج أو المدخل تصبح البيئة العمرانية امتدادا لوجود وشخصية الإنسان، بحيث تدلل مفاهيم مثل "المنطقة الشخصية Territory" و"الخصوصية Privacy" و"المكان الشخصي Personal Space" على استخدام السكان الفعلي للبيئة العمرانية، وليس مجرد ردود الأفعال للمثيرات العمرانية، كما يوضح هذا النموذج أن العلاقات بين الإنسان والبيئة العمرانية، ديناميكية خلال الزمن وليست إستاتيكية، وأنها تحدث على مستويات متعددة من الأداء السلوكى '' Behavioral Functioning" وكنظام متلاحم متماسك (محمود، 2000).

**2 – 7 الفراغات العمرانية في مدينة صنعاء:**

بشكل عام تنقسم المناطق العمرانية في مدينة صنعاء إلى قديمة تتمثل في مدينة صنعاء القديمة وحديثة خارج اسوار مدينة صنعاء القديمة، وتتخذ هيئة وشكل الفراغات العمرانية داخل مدينة صنعاء من خلال العلاقات بين خطوط العناصر التي تحدده (Malnar, 2004)، بينما تتسم الفراغات العمرانية داخل اسوار صنعاء القديمة بإعطاء إيحاءات ومشاعر عديدة بما يلائم وظيفتها، حيث تختلف من الاتساع إلى الضيق ومن البساطة إلى التعقيد ومن الانفتاح إلى الانغلاق، وتتنوع أشكالها بما يتلاءم مع الوظائف والأنشطة الإنسانية المختلفة. وترتبط الأبعاد الإنسانية للمجتمع اليمني ببيئته العمرانية، فهي التي ترسم وتشكل الفراغات العمرانية؛ لذا فإن الاستمرار في هذه الأبعاد سوف يساعد بشكل أساسي في الحفاظ على حيوية الفراغ واستدامته، حيث يعتبر الفراغ العمراني في المنطقة التراثية فراغا اجتماعيا بالدرجة الأولى ضم في طياته مختلف أشكال العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، حيث يقوم السكان من خلاله بالتحرك والتفاعل فيما بينهم بأشكال متعددة كالاتصال والتخاطب وممارسة الأنشطة الاجتماعية المشتركة (سحر).

**2- 8 الخصائص العمرانية التي تعزز الانتماء المكاني للفراغ:**

من خلال ما سبق استخلص الباحث مجموعة من الخصائص العمرانية التي تعمل كملامح رئيسية تعمل على تعزيز الانتماء المكاني لدى مستخدمي الفراغات وهي على النحو الآتي:

1. التشكيل والحدود الفراغية.
2. المقياس الإنساني للفراغات العمراني.
3. المسارات (الطرقات) والنهايات البصرية.
4. المتتابعات الفراغية وتدرجات الفراغات العمرنية.
5. ارتفاعات المباني.
6. النسيج العمراني وتجاور الاستعمالات.
7. الاحتواء وخصوصية الفراغات العمرانية.
8. تفاعل المستخدمين في الفراغات العمرانية.

من خلال هذه الخصائص العمرانية سيتم التحليل وعمل المقارنة والنقد لقياس مدى الانتماء المكاني لساكني ومستخدمي منطقتي الدراسة.

## 3. الإطار العملي (الدراسة التحليلية) للبحث:

تتبع الدراسة التحليلية أسلوب المقارنة والنقد من حيث المعايير والخصائص العمرانية مثل التشكيل والحدود الفراغية والمقياس الإنساني للفراغات العمرانية، وكذا المسارات (الطرقات) والنهايات البصرية وتحديد المتتابعات الفراغية وتدرجاتها مع دراسة تاثير الارتفاعات للكتل على الفراغات العمرانية وعلى النسيج العمراني من حيث الاحتواء وخصوصية الفراغ، وبالتالي استعراض ماهية تفاعل المستخدمين للفراغات العمرانية التي من شأنها تعزز الانتماء المكاني لمنطقتين الدراسة في مدينة صنعاء: احدهما تقليدية قديمة نسيجها عضوي (حارة الأبهر) والأخرى مخططه عمرانيا ذات نسيج شطرنجي بأسلوب حديث (مدينة الأصبحي السكنية)، حيث سيتم التعريف بمنطقتي الدراسة كالاتي:

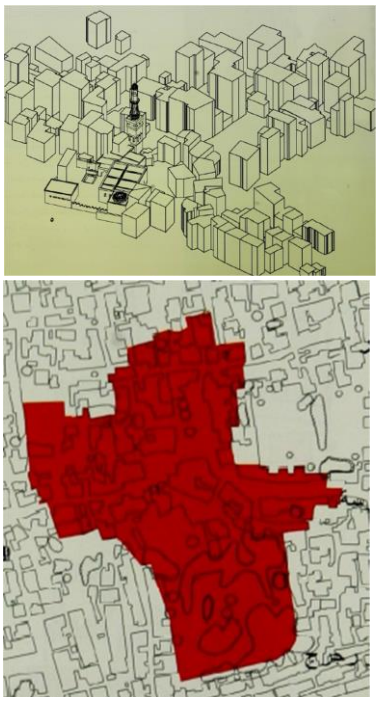

شكل(4): منظور عام للحارة مع توضيح موقع الحارة في مدينة صنعاء القديمة

### 1-3 حارة الأبهر:

- الموقع: تعتبر حارة الأبهر من حارات صنعاء القديمة متوسطة الحجم، وتقع في جنوب حي السرار الشرقي.
- المساحة: تبلغ مساحة الحارة (24813م2)
- عدد السكان: يقطن الحارة (895) نسمة بكثافة (358شخص/هك).
- نسبة استخدام الأرض للسكن: يشكل الاستخدام السكني أعلى نسبة فيها (44%) منها (13.5%) مساحة أفنية خارجية للمباني السكنية (الحوي).

- الحدود: يحد الحارة من الغرب حارة القاسمي، ومن الجنوب والجنوب الغربي حارتي بحر رجرج وبستان شارب، ومن الشرق حارة الحسوسة، ومن الشمال حارة معاذ. (الطاهر، 2005)

**2-3 مدينة الأصبحي السكنية:**

- الموقع: تقع مدينة الأصبحي السكنية ضمن القطاع الثالث الواقع في الجهة الجنوبية من العاصمة صنعاء – الحي السكني الثامن – مجاورة رقم (384) بحسب المخطط العام لمدينة صنعاء.
- المساحة: تبلغ مساحة المدينة السكنية (269220م2)
- عدد السكان: يقطن الحارة (5563) نسمة بكثافة (206شخص/هك).
- نسبة استخدام الأرض للسكن: يشكل الاستخدام السكني أعلى نسبة فيها (70%) منها (8.5%) مساحة افنية داخلية للمباني السكنية.

شكل(5): يوضح موقع مدينة الاصبحي السكنية وحدودها ومجاراتها الحضرية

- الحدود: يحد مدينة الأصبحي السكنية من الغرب شارع بعرض 30م يفصله الحي السادس، ومن الجنوب شارع الخمسين، ومن الشرق شارع 14م يفصلها عن المجاورة رقم (382)، ومن الشمال شارع 14م يفصلها عن المجاورتين (381) و(383).

**جدول المقارنة والتحليل النقدي للخصائص العمرانية المختارة لقياس تعزيز الانتماء المكاني لمنطقتي الدراسة (المصدر: الباحث)**

| | حارة الأبهر | مدينة الأصبحي السكنية |
|---|---|---|
| التشكيل والحدود الفراغية | تشكيل الفراغات عضوية وغير منتظمة مع وضوح حدودها 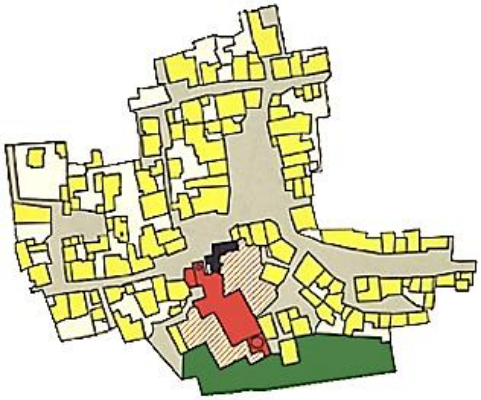 | تشكيل الفراغ منعدم لانعدام وجودة تخطيطياً، مع وضوح حدود المدينة السكنية. |
| مدى تحقيق الانتماء | وجود فراغ عمراني ذي تشكيل عضوي واضح الحدود يحقق الشعور بالانتماء المكاني نتيجة تلبية احتياجات المستخدمين وكذا تحقيق الشعور بالأمان، وهذا كله ينتج عنه سلوك إيجابي بين الأفراد والمكان ويعزز التواصل بين المستخدمين. | عدم وجود فراغ عمراني في المناطق السكنية المجاورة نتج عنه انعدام للتفاعلات المجتمعية مما حقق عزلة بين اغلب سكانها والذي ولد عدم الشعور بالانتماء وبذلك أثر بأسلوب غير مباشر في ظهور سلوكيات سلبية بين مستخدمي الفراغ مثل (استخدام بعض أركان الشوارع كتجمعات). |
| المقياس الإنساني للفراغ العمراني | الفراغ العمراني في حارة الأبهر صمم على أساس تلبية الاحتياجات الوظيفية (حركة المستخدمين وإقامة أنشطتهم المختلفة فيه)، وبالتالي ظهر مقياسان للفراغ (المقياس الودود -المقياس الإنساني). 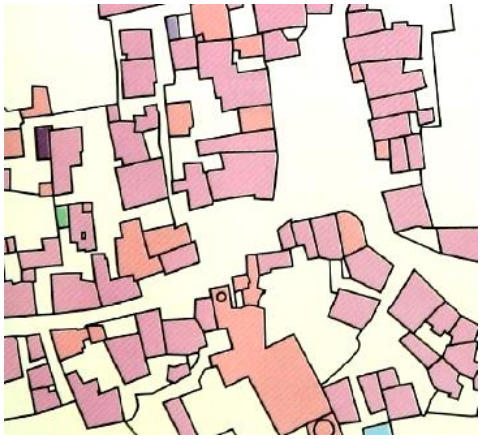 | اعتمد في تخطيط المجاورة السكنية مقياس السيارة (احترام الآلة قبل احترام الإنسان)، حيث إن كل الساحات والمسارات صممت لهذا الغرض، وأهملت وبشدة الفراغات الإنسانية التي كانت من الممكن أن تحقق احتياجات الأنشطة الإنسانية. 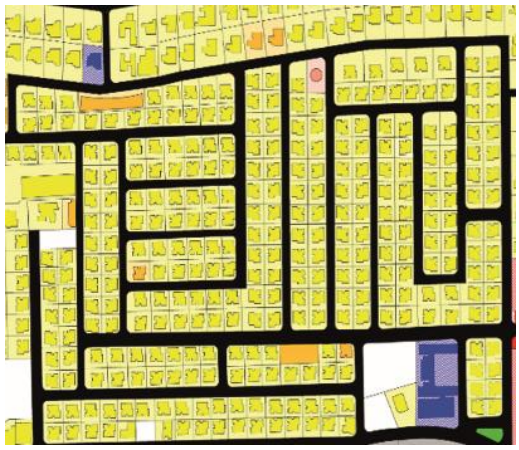 |

| | | |
|---|---|---|
| مدى تحقيق الانتماء | استخدام المقياس الودود والمقياس الإنساني في الفراغ حقق الاحتواء والخصوصية والتآلف الاجتماعي وزيادة الإحساس بحدود الفراغ؛ مما نتج عنه شعور بالانتماء للمكان. | إن عدم التماس المقياس الإنساني في المجاورة السكنية أدى الى ظهور فجوة بين المستخدمين والبيئة المحيطة بهم، مما خفض في نسبة التآلف الاجتماعي وانعدام الخصوصية لها، والذي تسبب في عدم تحقيق الراحة والأمان والانتماء للمكان. |
| المسارات (الطرقات) والنهايات البصرية | شبكة الطرقات في حارة الأبهر تدرجت من الاتساع إلى الضيق وتنوعت فيما بينها، فهناك طرق متسعة نسبيا، وطرق أقل اتساعا، وطرق تتسم بالضيق والالتواء، ففي حارة الأبهر يخترق الحارة طريق رئيسي يمتد من باب اليمن حتى السايله عبر حارة القاسمي بالإضافة إلى وجود الازقة الضيقة بين المباني والمتفرعة من الصرحات والتي تتميز معظمها بنهايات بصرية، وكل هذا ناتج وفق معطيات الحركة وبما يتلاءم مع الاحتياجات والعوامل البيئية.<br> 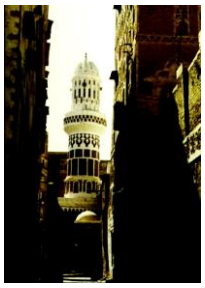 <br> | التصميم الشبكي لشوارع مدينة الأصبحي أعطى اختراقاً للمسارات على امتداد المنطقة السكنية، وهذا أنتج عدم الشعور بالأمان، حيث إن تدرج الشوارع من شارع24م (شارع المقالح) وحتى شارع 10م (وسط المجاورة) أعطى نفاذية للألة (السيارة) على حساب احتياجات الإنسان، مما نتج عنه افتقاراً<br> <br>لوجود الخصوصية وإهمالاً للنهايات البصرية واللاند مارك، ونقاط الجذب الرئيسية، ناهيك عن عدم الملائمة البيئية وانعدام الفراغات العمرانية والساحات العامة. |

| | | |
|---|---|---|
| مدى تحقيق الانتماء | التدرج في شبكة الطرقات له أثر في صياغة نمط الحياة ومستوى العلاقات ضمن النسيج العمراني، فقد تخللت الطريق منحنيات أو منعطفات غير ظاهرة تعمد الى إغلاق المنظور البصري، وتعطي إحساسا بالاحتواء الذي أنتج خصوصية للحارة التي تعطي الشعور بالأمان لساكنيها، فيتولد الشعور بالتملك والانتماء. | التخطيط الشبكي لشوارع مدينة الأصبحي أفقد سكانها نمط الحياة الاجتماعية؛ مما أدى إلى تناقص في التفاعلات الاجتماعية بشكل ملحوظ؛ لأن نوعية التخطيط أهمل وجود ساحات وفراغات عمرانية؛ مما أدى إلى انعدام الفعاليات والنشاطات الجماعية للمستخدمين، كما أدى إلى الشعور بعدم الاحتواء والخصوصية مما أنتج عدم تحقيق للانتماء. |
| المتابعات الفراغية وتدرجات الفراغ | للحارة أكثر من صرحة صغيرة ومتوسطة وكبير، حيث تتوسط الحارة الصرحة الكبيرة، كما أن وجود المقشامة خلف المباني لا تتصل مباشرة بالأزقة لتغيب لحظيا عن ذاكرة عابريها.<br> 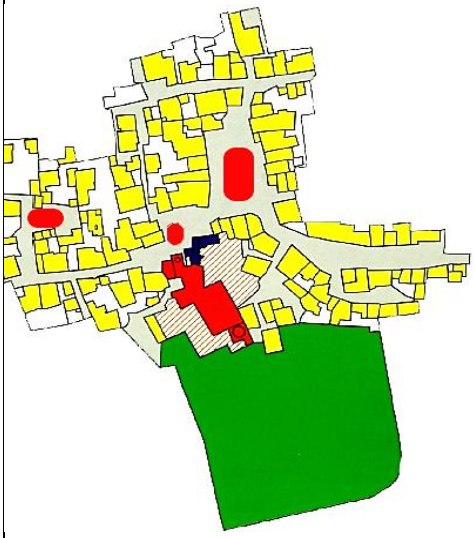 | للمدينة السكنية فراغات خاصة وهي تتبع وظيفيا المباني المجاورة مثل فناءات المنازل أو المباني الخدمية أو المباني الدينية، فالمتتابعة الفراغية هنا منعدمة لوجود مسارات ذات نفاذية بصرية تتعدى أحيانا أكثر من بلوك سكني، وبالتالي لا توجد تدرجات فراغية عامة وإنما تتدرج الفراغات الخاصة في اطار ملكية المباني.<br> |
| مدى تحقيق الانتماء | أعطى التغيير والانتقال من الطريق إلى الساحة أو من الطريق إلى الزقاق في فضاء الحارة طابعاً إنسيابياً؛ وتمثلت حجوما فراغية مختلفة ومتغيرة ذات تأثيرات عديدة تعطي لساكني الحارة ولمستخدمي هذه الفراغات أماكن للتجمع وممارسة كل التفاعلات الاجتماعية. | التنقل في المدينة السكنية بواسطة شوارعها وانعدام الفراغات العامة، ناهيك عن تدرجاتها أعطى إحساسًا بالعزلة للساكنين والزوار، وهذا الإحساس أدى إلى الشعور بالغربة الاجتماعية، وبالتالي أنتج سلوكيات اجتماعية سيئة وغير مسئولة اتجاه المكان من قبل سكانها. |

| | | |
|---|---|---|
| ارتفاعات المباني | ارتفاعات مباني الحارة ذات الطابق الواحد تشكل (25.2%) والغالب فيها المباني الدينية والخدمية، وتشكل المباني ذات(2-3طوابق) نسبة (29.8%) إما المباني ذات (4-5طوابق) فنسبتها (37.4%) وهي أعلى نسبة طابقية في الحارة، وإما المباني ذات (6-7طوابق) فتشكل (7.6%)، حيث تشكل المباني المنهارة والمهدمة جزئياً نسبة لا تزيد عن (3.8%).<br> | ارتفاعات المباني في المدينة السكنية تختلف بحسب نوعية المبنى، فنظام الفلل المستقلة تتراوح ارتفاعاتها من (1-3) طوابق، أما نظام العمائر السكنية يتراوح ارتفاعها من (3-6) طوابق، حيث ظهرت العمائر السكنية التجارية على شارع المقالح، بينما التوسع الرأسي للفلل السكنية فهو مصطنع من قبل ساكنيها بإضافة أدوار، حيث إن فللها صممت على دور واحد فقط، وهذا أنتج تشوه بصرياً وتشوهاً بيئياً بإلقاء الظلال من العمايرعلى الفلل المجاورة. |
| مدى تحقيق الانتماء | ارتفاعات المباني المتفاوتة أعطى احتواء وانسيابية مع الفراغات العمرانية، وحافظ على خصوصيتها؛ مما ساعد في تحقيق الأمان والشعور بالانتماء. | ارتفاعات المباني العالية وغير المدروسة سببت كشفاً على أسطح وفناءات المباني المنخفضة في الجوار، هذا أدى إلى إلغاء خصوصية ساكنيها، وظهور سلوكيات اجتماعية سيئة حالت دون تحقيق الأمان والانتماء. |
| النسيج العمراني وتجاور الاستعمالات | حارة الأبهر ذات نسيج متشابك من مبانيها وشوارعها وساحاتها، قد يبدو تخطيطها عشوائياً غير منظم، ولا يتبع أسساً منطقية في التخطيط، ولكن عند التعمق بدراسة العلاقات التجاورية وفلسفة تخطيطها العمراني وأسلوب الحياة فيها تظهر أن الحقيقة غير ذلك، فهي منطقة متكاملة ومترابطة مع ما يجاورها ويحدها من المدينة القديمة، حيث يمثل جامع الأبهر والساحة المقابلة له والمقشامة الخلفية للجامع ومبانيها أعطت ترابطاً وتكاملاً ناتجاً من احتياجات مستخدميها. | مدينة الأصبحي السكنية ذات تخطيط شبكي منظم، وهذا أدى إلى زيادة النفاذية البصرية، وتقسيم بلوكاتها السكنية أتى متعامداً نتاج التخطيط الشبكي المنتظم، حيث توزعت مبانيها بتراص على شكل خطي متعامد ومنتظم، مفصولة عن بعضها البعض.<br>ومركز المدينة غير واضح، والخدمات الأساسية ذات الاستعمالات اليومية غير متجاورة وناقصة. |

| | | |
|---|---|---|
| **مدى تحقيق الانتماء** | النسيج العمراني المتضام ولد إحساساً بالأمان والاحتواء داخل ساحة الحارة وفي طرقاتها، وتقارب الاستعمالات من بعضها، مثل: المسجد والساحة والمقشامة أدى إلى تلبية احتياجات الساكنين، ووجود المسجد كمعلم ديني عقائدي في الحارة أعطى انتماء متعاظماً لساكني ومستخدمي الفراغ. | زيادة النفاذية البصرية في المدينة السكنية أعطى شعوراً بعدم الأمان والاحتواء وتقسيم بعض البلوكات بشكل متعامد باتجاة الشمال يعطي مشكلة بيئية، ونقص الخدمات مثل الساحة أو المتنفسات الطبيعية يؤدي إلى شعور المستخدمين بالضيق وعدم تلبية احتياجاتهم الاساسية يؤدي إلى ضياع الانتماء للمكان. |
| **الاحتواء وخصوصية الفراغ** | تم التعبير عن خاصية الاحتواء في حارة الأبهر بتشكيل النسيج العمراني المتضام، حيث أنتج ثلاث صرحات كبيرة ومتوسطة وصغيرة ذات احتواء عالٍ تخدم الاحتياجات الإنسانية ومناسبة للتفاعلات الاجتماعية، فالاحتواء الموجود هو نتاج احتياج للساكنين وبالمقابل أصبحت هذه الفراغات ذات خصوصية تسمح بالمستخدمين لممارسة عاداتهم وتقاليدهم وأنشطتهم الاجتماعية. | لم تتوفر فراغات عمرانية ولا ساحات عامة في مدينة الأصبحي السكنية حتى مركز المجاورة غير واضح الملامح، وأي مساحات أو فراغات تظهر في المخطط فهي ذات ملكية فردية، فتخطيط المدينة أهمل مبدأ الاحتواء، ولم يظهر إلا في شوارع المدينة بصورة بسيطة جدا نتيجة تقارب المباني، ولكنه لا يوصل إلى درجة الاحتواء المطلوبة لشعور المستخدم به، والخصوصية تضاءلت مع تضاؤل وجود الاحتواء في تخطيط النسيج العمراني للمدينة. |
| **مدى تحقيق الانتماء** | النسيج العمراني المتضام أعطى شعوراً بالأمان والخصوصية للفراغ؛ مما لبى الحاجات النفسية للمستخدمين وللزوار، وحقق الخصوصية لوظيفة كل فراغ؛ مما ولد الانتماء لدى الساكنين للمكان. | انعدم مبدأ الاحتواء في جميع الفراغات والمسارات للمدينة السكنية، ولم يتحقق مبدأ الخصوصية، فأصبح من الصعب إقامة الفعاليات الاجتماعية لدى الساكنين في المدينة والانتقال إلى فراغات تناسب فعالياتهم خارج المدينة السكنية؛ مما أعطى نقصاً في شعور الانتماء لدى سكانها. |

| | | |
|---|---|---|
| تفاعل المستخدمين للفراغ العمراني | البيئة العمرانية في حارة الأبهر تعتبر بيئة عمرانية تلقائية، حيث ان علاقة الإنسان ببيئته علاقة مباشرة، والتفاعل بين المستخدمين والفراغات يكون من خلال المتطلبات التي يحتاجونها، ومن هنا نتجت تفاعلات اجتماعية وإنسانية مختلفة سمح بها وجود الفراغات العمرانية ذات التدرجات العفوية التي توفر لمستخدميها كافة احتياجاتهم الاجتماعية.<br><br>ومن تلك التفاعلات والأنشطة إقامة الأعراس والتجمعات الثقافية وإقامة المناسبات الدينية والوطنية وغيرها، وهذا كله ساعد على اندماج سكان الحارة وقوى الروابط الاجتماعية وعزز السلوكيات الفردية والجماعية بصورة إيجابية؛ مما ساعد بشكل كبير تأكيد على الانتماء عند المستخدمين. | بالمقابل تعتبر البيئة العمرانية في مدينة الأصبحي السكنية بيئة عمرانية مخططة، مما أنتجت انقطاع العلاقة المباشرة بين الإنسان وبيئته نتيجة عدم توفر الفراغات العمرانية والساحات العامة التي تسمح باللقاء بين الساكنين والتفاعل فيما بينهم وإقامة نشاطاتهم الاجتماعية المختلفة، وبالتالي انتفت التلقائية وحل محلها التخطيط المسبق الذي يكون على أساس السياسات والتوجيهات.<br><br>كل ذلك أضعف الروابط الاجتماعية وساعد على نشوء سلوكيات اجتماعية غير مراقبة أدت إلى تفاعل سلبي مع البيئة والمكان؛ مما أنتج ضعفاً في الإحساس والشعور بالانتماء لدى المستخدمين. |

## 4-الخلاصة:

يمكن تركيز أهم الافكار التي تم طرحها من خلال المقارنة في النقاط الآتية:

- يرتبط معني المكان بالاحتياجات النفسية والعاطفية، وكذلك بالثوابت الاجتماعية والثقافية للجماعة.
- هناك ثلاث اتجاهات مختلفة لفهم وتفسير العلاقة بين الفراغات العمرانية والخصائص الاجتماعية، وهي: اتجاه الحتمية البيئية، واتجاه الاحتمالية البيئية، واتجاه التفاعلية البيئية.
- يمكن فهم العلاقة بين خصائص السكان وخصائص العمران كعلاقة تبادلية مركبة.
- النتاج العمراني هو انعكاس للثقافة والقيم والعلاقات الاجتماعية والبيئية، كما يمكن اعتبار الطابع العمراني انعكاسا للحوار بين الإنسان والجماعة وبيئتهم يمكن النظر للبيئة العمرانية بأنها نافذة لفهم الثقافة وعلاقتها بالبيئة.
- الفراغات العمرانية وثيقة الصلة بالمسكن يمكنها أن توفر المحتوى المناسب للاحتكاك والتفاعل بين أفراد المجتمع وبيئتهم العمرانية من جهة، والاحتكاك والتفاعل الاجتماعي بين أفراد المجتمع بعضهم ببعض من جهة أخرى.

## 5-النتائج:

**بعد عمل المقارنة والتحليل النقدي للخصائص العمرانية فقد خرج الباحث بنتائج تؤكد على معايير تصميم الفراغ الإنساني عند تطبيقها، وتعزز الانتماء المكاني للفراغ العمراني، وهي كالآتي:**

1. التشكيل الفراغي العضوي غير المنتظم مع وضوح حدود الفارغ العمراني (استخدام آليات التحديد والانغلاق الجزئي والمرن، واستمرارية الحوائط، والمقياس الإنساني).
2. التشكيل الفراغي الشطرنجي لم ينتج فراغات عمرانية حميمية لممارسة الأنشطة الإنسانية مثل التجمع واللقاءات.
3. استخدام وتأكيد المقاييس الإنسانية وتدرجها مع تنوع المتتابعات الفراغية وتدرج الفراغات.
4. تغير الإيقاع في خطوط السماء والارتفاعات ووضعية المباني وتجاور الاستعمالات.
5. التوجيه للداخل وتأكيد إمكانية السيطرة والتحكم في مداخل الفراغات، مما يؤدي إلى تنمية الإحساس بالاحتواء والأمان لدى السكان.
6. استخدام العناصر والمفردات المعمارية المتمايزة التي تدعم مشاعر الانتماء والهوية وشخصية المكان.
7. استخدام التشكيلات والمعالجات البيئية التي تعمل على توفير مساحات إظلال مناسبة مع السماح بدخول وتخلخل الأشعة الشمسية في الأوقات المناسبة لتوفير بيئة صحية.
8. التحكم والحد من الحركة الاختراقية للسيارات داخل الفراغات وثيقة الصلة بالمسكن.
9. تأكيد الخصوصية وتوفير مساحات مناسبة للأنشطة الاجتماعية الحميمة عن طريق تقسيم الفراغات العمرانية إلى مجموعة من الفراغات الأصغر.
10. تطبيق تصميمات عمرانية مرنة تساعد على تشجيع إضافات السكان في الفراغات العمرانية؛ مما يؤدي إلى زيادة الروابط الاجتماعية بين السكان عن طريق ارتباطهم بالبيئة العمرانية، وتنمية مشاعر الانتماء والهوية.

## 6- التوصيات:

كما يمكن طرح **مجموعة من التوصيات** تتركز في الآتي:

- التأكيد على ضرورة مراعاة الأبعاد الاجتماعية عند وضع المخططات العمرانية، والعمل على مراعاة الأبعاد والمقاييس الإنسانية والمساعدة على تدعيم الروابط الاجتماعية داخل المجموعات السكنية الصغرى، وضرورة التفكير في تقسيم المجموعات السكنية إلى مجموعات صغرى يمكن من خلالها تحقيق المقاييس الحميمة والملائمة لاحتياجات السكان على مستوى التخطيط والتصميم العمراني للوحدات التخطيطية.
- التأكيد على دراسة عوامل التحكم والسيطرة على المساحات والفراغات البينية بما يمكن السكان من الاستخدام الآمن لهذه الفراغات، ويؤدي بدوره إلى تنمية أواصر وروابط التفاعل الاجتماعي بين السكان، ويزيد من مشاعر الانتماء للمكان.
- أهمية مراجعة التوجهات التخطيطية الحالية بما يتناسب مع خصوصية مجتمعاتنا العربية، ومع ضرورة إيجاد وبلورة صياغات مبدعة لتحقيق التواؤم بين خصائصنا الثقافية والاجتماعية، وبين متطلبات وأنماط الحياة العصرية.

## المراجع


- Ashihara, Y. (1983). *"Extrior Design In Architecture.* Van Nostrand, Reinhold", New York.
- Krier. (1979). *URBAN SPACE.* Rizzoil international publications, Ink., New York,.
- Lang, J. (1987). *Creating Architectural Theory .* Van Nostrand Reinhold , New York .
- Mackeachie, E. (1970). *Psychology,Six Edition.* John Wisley & Sons, Publishing Company, Massachusetts.
- Malnar, J. M. (2004). *The Interior Dimension, A Theoretical Approach to Enclosed space.* New York: Van Nostrand Reinhold Company.
- Rapoport. (1980). *Human Aspects of Urban Form.* New York: Pergamon Press, Oxford.
- أشرف بطرس. (1992). *في الثقافة والعمارة.* الجيزة: كلية الهندسة، جامعة القاهرة.
- الارياني سحر. (بلا تاريخ). *تفعيل الدور الإنساني في الفراغات العمرانية للمناطق التراثية بمدينة صنعاء القديمة.* اسيوط -مصر: رسالة دكتوراة - جامعة اسيوط.
- جميل عبدالقادر أكبر. (1992). *عمارة الارض في الاسلام .* جدة: دار القبلة للثقافة الاسلامية.
- حمودة الفت. (1990). *نظريات العمارة وقيم الجمال المعماري.* القاهرة: دار المعارف.
- محمد فكري محمود. (2000). *في العلاقة بين الانسان والمكان: منهج لرصد العلاقة التبادلية لنماذج من الفراغات العمرانية بالقاهرة.* جامعة القاهرة، كلية الهندسة. الجيزة: رسالة ماجستير غير منشورة.
- مركز الطاهر. (2005). *اسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري في العصور الاسلامية المختلفة- دراسة تحليلية على مدينة صنعاء.* جدة السعودية: منظمة العواصم الاسلامية.
- هالة سعد مكاوي. (1995). *العلاقة بين خصائص العمران والخصائص الاجتماعية- الثقافية للسكان.* الجيزة: رسالة دكتوراه، كلية التخطيط الاقليمي والعمراني، جامعة القاهرة.
- يوسف عبدالحكيم يوسف. (2018). *نمط منظومة الفراغات العمرانية ومسارات المشاة كاحد عناصر التصميم العمراني في ضوء اتجاهات العمران الحديث.* المجلة العلمية الدولية في العمارة والهندسة والتكنولوجيا. doi:DOI: 10.21625/baheth.v1i1.212